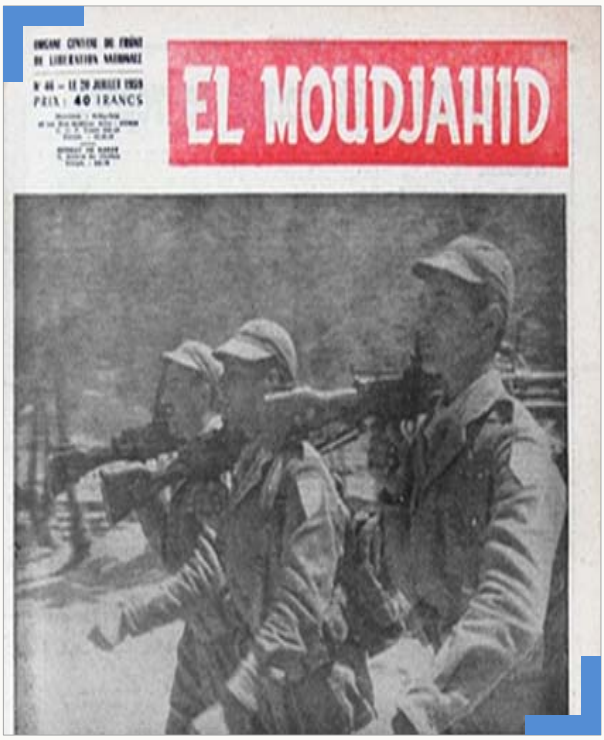

دور الإعلام في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٩٥٤ - ١٩٦٢)

د. جهاد الغرام

أستاذ محاضر- قسم الإعلام والاتصال
كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية
جامعة المدية – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

جهاد الغرام، دور الإعلام في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٩٥٤ - ١٩٦٢).- دورية كان التاريخية.- العدد السابع عشر؛ سبتمبر ٢٠١٢. ص ٧٢ – ٧٨.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

ملخص

الثورة التحريرية الجزائرية كانت تواجه عدو يعتبر من الدول العظمى في تلك المرحلة ترسخت بالجزائر لفترة احتلال طويلة أوجدت خلالها الكثير من العملاء والمتعاملين معها، إضافةً إلى استخدامها سياسة تغير ثقافة الشعب الجزائري والتأثير على ديانته وقيمه الإسلامية ومحاولة ربطه بالدولة الفرنسية فكرًا وتفكيرًا، وهنا نلاحظ مدى الصعوبة التي واجهها الإعلام المقاوم للثورة الفرنسية والثورة الجزائرية التي اندلعت في نوفمبر ١٩٥٤، بكل ما لديها من وسائل بشرية ومعنوية ومادية ودعائية وإعلامية متواضعة، مصوّبة لإبلاغ رسالة الثورة إلى الشعب الجزائري أولاً، ثم إلى الشعب الفرنسي ثانيًا، وإلى الرأي العام الدولي أخيرًا.

أما مسار الإعلام الفرنسي والأسلوب الذي انتهجته لأداء مهمتها في خدمة الاحتلال، كان من خلال التغطية الكاملة لهجمات أول نوفمبر من حيث مواقعها والمراكز المستهدفة فيها والخسائر الناجمة عنها، وكذا تطور العمليات العسكرية، مع تصوير جنود جيش التحرير كمجرمين وقطاع طرق ومخربين وغيرها من الصور البشعة، في مقابل تمجيد جيش الاحتلال والإشادة ببطولاته الهادفة إلى إحلال الأمن والسلم الذي كانت تنعم به البلاد قبل الثورة الجزائرية، وهو ما يصب في إطار تحجيم الثورة والتقليل من شأنها. والتي سعت إلى زرع الشك والريب في الرأي العام الجزائري بنعت الثورة بمختلف الأوصاف لعزل الشعب عنها والدعم العربي والدولي لها، وتجريدها من صفتها الشعبية، وتجريد أحداث نوفمبر من مفهوم الوطنية والاستقلال لتحولها إلى مجرد أعمال إرهابية ومؤامرة خارجية.

إن دور الإعلام في مثل هذه الظروف يعتبر مجالاً نوعيًا في تحديد نوع وطبيعة الأزمة، وكيفية التعامل والتغلب عليها وتجنب سلبياتها والاستفادة منها مستقبلاً، لذلك تعتبر مثل هذه الدراسات أداة فعالة لكشف الكثير من الحقائق الغامضة وتفسير العديد من المواقف تجاه الثورة، سواء كانت مؤيدة أو معارضة أو متحاملة عليها، والإشارة إلى أن الموضوع ما زال بحاجة إلى جهود الباحثين المخلصين للاستفادة منه في كتابة موضوعية للتاريخ الجزائري.

مقدمة

يعتبر الإعلام أحد أهم دعامات الثورات وتوجيه الأزمات الدولية من نزعات وحروب، وأنعكس ذلك على كل الفرد نظرًا للتغييرات المستحدثة في آلياته ونمط حياة الإنسان مقارنة مع ما كانت عليه في الحقب التاريخية السابقة، فقد أدركت الثورة الجزائرية منذ اللحظات الأولى من اندلاعها بأن الإعلام هو أحد الأسلحة المهمة والفاعلة في نضالها ضد المستعمر الفرنسي، يقف في خندق واحد إلى جانب السلاح في مواجهة الخصم لربح المعركة، هذا الإدراك القوي بأهمية الكلمة وتوظيفها جاء نتيجة المعاناة التي افرزها الصراع الطويل والمرير الذي خاضه الشعب الجزائري عبر أجيال وأجيال في كفاحه ضد المستعمر، والمعبر عنها من خلال

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

المقاومات المسلحة والانتفاضات الشعبية ونضاله السياسي، مما جعل قادة الثورة ورجالاتها يولون اهتمامًا كبير للإعلام من أول يوم بدأت فيه الثورة والذي كان واضحًا في هدفها للسعي وراء تعبئة الرأي العام الداخلي والخارجي للوقوف بجانبها ومساندتها للوصول إلى الاستقلال والحرية ومحاربة الاستعمار الفرنسي الغاشم، وفي المقابل كانت تدرك فرنسا مدى هذه الأهمية للإعلام فجنّدت كل وسائلها وإمكانياتها لمحاربة الثورة والتقليل من شأنها وتشويه صورتها لدى الرأي العام، وعليه ستعالج إشكالية الدراسة الإعلام والإعلام المضاد إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال الفترة (١٩٥٤ – ١٩٦٢)، وكيفية استخدام الاحتلال الفرنسي للإعلام في مواجهة الثورة الجزائرية، والوسائل الإعلامية التي اعتمدتها الثورة الجزائرية لكسب الحرب الإعلامية ضد الاستعمار الفرنسي.

أولاً: الإعلام كبعد رئيس ومهم في إدارة الأزمات الدولية

أحدث الإعلام تأثير كبير في كل مجال الحياة وسلوكيات أفراد المجتمع، شملت الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعية، هذا فضلاً عن ما تعرضه وسائله المتعددة من أحداث دولية بعدما جعلت من العالم قرية صغيرة، وقد نجحت السياسة بكل مقوماتها وأساليبها في توجيه دفة الإعلام نحو أهدافها الاستراتيجية المرسومة رغم تناقض أقوالها مع أفعالها، وتعريض البشرية لحروب وأزمات مفتعلة تارة، وحقيقية تارة أخرى، جعل من الإعلام ووسائله الدور المؤثر، وفي بعض الأحيان العامل الحاسم في هذه الأزمات.

إن الأزمات جزء رئيس في واقع الحياة البشرية والمؤسسية، وهذا يدفع إلى التفكير بصورة جدية في كيفية مواجهتها والتعامل معها بشكل فعال يؤدي إلى الحد من النتائج السلبية لها، والاستفادة إن أمكن من نتائجها الإيجابية، فهي حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قرارًا ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أو إيجابية تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة،[١] وتشكل هذه الأزمات تحديًا للإنسان الذي يكون بالأساس محور الأزمة فهو بالضرورة يكون سببًا في نشوء الأزمة وتصاعدها والتعامل معها ومعالجتها، وهذه الأزمات بطبيعة الحال تتفاوت في طبيعتها وحجمها وتشعبها وخطورتها ومدى تأثيرها على حياة الإنسان ولأننا نعيش اليوم عصر الإعلام، ذلك العصر الذي أصبح فيه الإعلام يمثل عصب الحياة وأصبحت وسائل الإعلام على تنوعها، عاملاً مؤثرًا في الأحداث التي يشهدها العالم كل يوم، بل ومحركًا لها، فقد أصبح من الضروري أن تتعامل وسائل الإعلام مع أزمات المجتمع المختلفة، باعتبارها العنصر الأساسي والأول لوسائل الإعلام، هذا العنصر على قدر كبير من التعقيد، ذلك لأن الجمهور متنوع و ينتمي إلى طبقات متعددة ومتصل ببعضه البعض بطرق عديدة،[٢] وهنا يظهر الدور الإعلامي الذي تحدثه الرسالة الموجهة من شخص أو مجموعة أشخاص، وهو ما يؤدي بدوره إلى إحداث تأثير مطلوب أو غير مطلوب، ويحقق الهدف أو لا يحققه، وذلك على مستوى ضعيف أو قوي، وهذا يفرض على تلك الوسائل أن تتعامل مع الأزمة بحكمة وحرفية حتى يتم تجاوزها.[٣]

قد يكون الإعلام في كثير من الأحيان الأداة الرئيسية لإدارة الأزمة، وربما يكون النجاح في تجاوز الأزمة، والخروج منها بأقل الخسائر، نتيجة لنجاح أجندة الأزمات الدولية إلا أن لها دورًا مؤثرًا في تحديد كيفية معالجة هذه الأزمات، نظرًا لحساسية وخطورة تأثير الأزمة الدولية على متغيرات العلاقات بين الدول والسلم والأمن الدوليين، وتصاعد حدة التوتر بين الأطراف المختلفة وبروز احتمالات السيناريوهات الأسوأ، تعمل العديد من الوسائل الإعلامية في هذه الحالة على جذب اهتمام الجماهير والتأثير فيها، وهي لا تؤدي هذا الدور بمعزل عن باقي أدوات إدارة الأزمة، وإنما تؤديه من خلال إدراك واضح لعلاقات متداخلة وأدوار متكاملة في لحظة حرجة، ليأتي الأداء متناغمًا في وعي، ساعيًا نحو هدف محدد، لا مجال فيه لصراع أو تناقض أو خروج عن سياق الهدف المنشود من وراء استخدام وسائل الإعلام في التحكم أو توجيه الأزمة.[٤]

إن النجاح في إدارة الأزمة داخل الجهاز الإعلامي، سواءً كان مسموعًا أو مرئيًا أو مقروء، يكون رهنًا بمدى إدراك فريق العمل المنوط به التعامل مع الأزمة، وتناولها من خلال الوسيلة التي يعمل بها، وهذا يتطلب مجموعة من الأسس والخطوات التي يجب إتباعها عند حدوث الأزمة سواءً كانت هذه الأزمة طويلة المدى أو قصيرة أو مفاجأة تمامًا أي غير متوقعة على الإطلاق أو محتملة الحدوث، وهناك بوادر ومقدمات لها.

ثانيًا: استراتيجية الإعلام الفرنسي ضد الثورة الجزائرية

تنوعت وسائل الدعاية الفرنسية في الجزائر، حيث ضاعفت من وسائلها للقضاء على الثورة، فإلى جانب الوسائل العسكرية الضخمة، اعتمدت على السلاح الإعلامي في تضخيم انجازات الجيش الفرنسي وتجاهل معارك رجال المقاومة وما ألحقوه من خسائر وقعت في صفوف جيشها، ومن أجل هذا كانت مهمة الإعلام جليًا في الحرب النفسية وهجمة شرسة واسعة النطاق شنتها على الثورة باختلاق الأكاذيب والأساليب الرخيصة، كما ركز الاستعمار على الحملات الصحفية والإذاعات واستخدام الإمكانيات الهائلة التي كان يمتلكها لنشر الأكاذيب والدعاية المزيفة لكل الحقائق، باستخدام مختلف أجهزة الإعلام من صحف وإذاعة ومناشير دعائية التي جندتها الحكومة الفرنسية للتقليل من أهمية ما يحدث في الجزائر، من خلال مجموعة من السياسات والأهداف عملت عليها طوال اندلاع الثورة التحررية وهي:

١- القمع الفكري:

أدرك الاستعمار أهمية الإعلام من دور في مواجهة الثورة الجزائرية بتطبيق سياسة الكبت الفكري وفرض الرقابة المشددة على مختلف الإصدارات ومختلف النشاطات التي من شانها أن تقوي من عزيمة الثورة الجزائرية في مواجهة الاستعمار، فقد لجأ

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الإعلام الاستعماري إلى تطبيق سياسة القمع الفكري على كل مَن يقف إلى جانب الثورة التحريرية منذ انطلاقها والمتمثل في حجز ومنع كل كتاب يصدر، أو مقال ينشر، أو عريضة تحرر، أو محاضرة تلقى تتعلق بها، أمثال محمد ديب الذي استطاع أن يوظف كتاباته في هذا الجانب لفضح مساوئ الاستعمار في الجزائر وتوعية الجماهير الشعبية، حيث اصدر كتاب بعنوان "في المقهى" فقامت السلطات الفرنسية بمنع تسويقه في الجزائر، فعلقت مجلة الفكر التونسية قائلة "لقد أمتنع أصحاب المكتبات بالجزائر باتفاق مع الحكومة الاستعمارية عن بيع مجموعة القصص التي أصدرها الكاتب الجزائري محمد ديب بأكبر دار للنشر بفرنسا تحت عنوان في (المقهى) لأن هذا الكتاب يرفع الستار عن الوسائل الاستعمارية المستعملة لتزوير الانتخابات، وعن أساليب العنصرية الوحشية في تركيز دعائم الاستعمار بالبلاد"، ولم يكن هذا الأول والأخير بل سبق لها أن أوقفت جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ٧ جانفي (يناير) ١٩٥٦، وتوقيف جريدة (L'humanité) بسبب نشرها لصور بشعة نفذها الجيش الفرنسي في حق الجزائريين في ٢٥ فيفري (فبراير)١٩٥٧، وحجز كتاب "الاستنطاق" للصحفي هنري علاق، الذي يتحدث عن التعذيب في الجزائر في ٢٧ مارس ١٩٥٨.[٥]

٢- ممارسة التضليل والتحريف وتشويه الثورة:

لقد كانت الهجمة الإعلامية الفرنسية المكثفة تهدف إلى تشويه صورة الثورة الجزائرية في أعين الشعب الجزائري، لكي يبتعد عنها وبذلك تتم عملية عزلها والتقليل من أهميتها والتقزيم من مطالبها المشروعة، وذلك من خلال رميها بمختلف النعوت والأوصاف المسيئة والتهم الباطلة، فركزت السلطات الفرنسية على جانبين رئيسيين من جوانب الإعلام والتوجيه: فمن ناحية سلطت الأضواء على حياة بعض الثوار ممن لهم "ماض إجرامي أو علاقات مشبوهة مع القضاء"، وذلك للتقليل من قيمة جبهة التحرير الوطني، وحتى يتخلف أبناء الشعب الجزائري عن الالتحاق بصفوف المجاهدين، ومن جملة ما نشرته جريدة "صدى الجزائر": أن جيش التحرير المزعوم يضم من بين قيادات أركانه شخصيات بارزة يمكن أن نذكر من جملتها: الشهير قرين بلقاسم بن بشير الذي يبلغ من العمر سبعًا وعشرين سنة ويجر وراءه سوابق عدلية لا تقوى الجبال على حملها، لأجل ذلك، فإنه لا مجال للدهشة عندما نعلم أنه بفضل الالتحاق بأصدقائه المحكوم عليهم، ترأس عصابة من الإرهابيين بدلاً من أن يستسلم للعدالة ويقضي في السجن سنوات الأشغال الشاقة التي حكم بها عليه سنة ١٩٥٠".

ومن جهة ثانية راحت الصحافة الفرنسية تعمل على تعميم الفكرة القائلة بأن الثوار إنما هم جماعات معزولة ومنبوذة من الجماهير التي لا ترغب سوى في أن تبقى فرنسية كاملة الحقوق والواجبات، وبهذا الصدد نشرت "صدى الجزائر" خبرًا مفاده أن سكان تيزي غنيف قد حاولوا الاعتداء على اثنين وثلاثين إرهابيًا (تقصد هنا رجال الثورة حسب وصفها) وقعوا أسرى أثناء عملية قامت بها قوات الجيش الفرنسي"، ففي هذا النطاق، افتعلت الأخبار والإشاعات التي مفادها "أن المتمردين، في جبال أوراس، قد تلقوا، عن طريق الجو، الأسلحة التي أرسلتها دول أجنبية قصد إغراق البلاد في بحر من الفوضى والاضطراب وانعدام الأمن، ومن أجل زرع الشقاق بين الأشقاء وتوسيع هوة الخلاف بينهم".[٦]

بالإضافة إلى ذلك؛ بدأت الصحافة الاستعمارية حملتها الضارية ضد الثورة من يومها الثاني، وقد ازدادت شراسة وعدوانية وتزييفًا للإحداث، وقلبًا للحقائق، ضاربة بذلك عرض الحائط كل الأعراف والتقاليد الصحفية، والقيم التي تشكل أخلاقيات المهنة، حيث قامت بتزييف وتزوير بضعة أعداد من صحيفة المجاهد اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، وهي الأعداد: (٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦) الصادرة سنتي ١٩٦٠، ١٩٦١.[٧]

إن الخطاب الإعلامي الفرنسي، اعتمد أسلوب الحرب النفسية والدعائية، وعمل على تجريد المجاهدين من خصلة من خصال التي يفرضها الثوري كالبطولة والشجاعة والتضحية، فالثوار في نظر هذا الخطاب ما هم إلا مجموعة من الإرهابيين أو قطاع طرق أو خارجون على القانون أو متمردون، كلها أوصاف ونعوت القصد منها تجريد الثورة من أهدافها الأخلاقية والإنسانية والوطنية، واستخدمت لذلك كل وسائلها الإعلامية المسموعة والمكتوبة، فعلت كل شيء لتجند الرأي العام الداخلي والخارجي ضد الثوار، بتصويرهم بالمجرمين، والمطاردين بمقتضى الحق العام ممن لا يخسرون شيئًا في المغامرة، ذلك من خلال ممارسة التضليل وتزييف الحقائق والوقائع للقضاء على الثورة.

٣- نشر البلبلة وإثارة الشكوك حول مصداقية الثورة الجزائرية:

إن الهجمة الإعلامية الشرسة والواسعة النطاق والإمكانيات المادية الضخمة التي جندتها السلطات الاستعمارية الفرنسية للتقليل من أهمية أحداث أول نوفمبر من خلال مختلف أجهزة الإعلام والوسائل الدعائية، بمختلف مشاربها واتجاهاتها السياسية الحزبية بدون اختلاف تزرع الشك في نفوس الجزائريين بنعت هذه الأحداث بكل الأوصاف، بأنها مجرد تمرّد من قطاع الطرق و"الفلاّقة"، وذلك قصد عزل الثورة وخنقها ثم تجريدها من صفتها الشعبية وهدفها المنشود في الحرية والاستقلال، لتحوّلها إلى مجرد أعمال إرهابية ليس لها أي صلة بالشعب الجزائري المسالم والذي يريد العيش مع الأوربيين في بلد واحد، مرتبط بالوطن الأم فرنسا، وراحت هذه الصحافة ووسائل الإعلام ا لفرنسية تحاول طمأنة الأوربيين في الجزائر بأنهم يجب أن يضعوا ثقتهم الكاملة فيما تتخذه السلطات الفرنسية من إجراءات لتهدئة وضمان الأمن و"القضاء على هذه الشرذمة المتمردة وهذه العصابات المجرمة من اللصوص وقُطاع الطرق،[٨] في صباح اليوم الثاني من شهر نوفمبر، ظهرت الصحافة الاستعمارية بعناوين ترمي إلى هدفين مختلفين: فهي تدعو من جهة، إلى التزام الهدوء، ومنح الثقة للسلطات المختصة التي

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

تملك من الوسائل ما سيمكنها في ظرف قصير جدًا من القضاء على الثورة باعتبارها لا تعدو غير أعمال الإجرامية، ومن جهة أخرى، فإن تلك العناوين جاءت عبارة عن ترهيب ووعيد موجهين لقادة وأعضاء الحركة الجديدة، مذكرة بقوة فرنسا وعظمتها وقدرتها على رد الفعل، وعلى استعمال العنف والقمع من أجل التوصل إلى استتباب الأمن.[٩]

٤- المؤامرة الخارجية:

منذ اللحظات الأولى من اندلاع الثورة أوعزت السلطات الفرنسية لأبواقها الإعلامية بالتصدي للثورة باعتبارها مؤامرة خارجية، التي وجدت الصق التهم بالخارج، مادة دسمة في العملية الإعلامية الدعائية، لتبرهن للعالم أن الثورة الجزائرية ليست كما يظن البعض، ثورة قومية مستندة على شعور وطني، وإما هي حركة عصيان وتمرد مدفوعة من الخارج تستهدف الوجود الحضاري لفرنسا وتهدد هيمنته في الجزائر خاصة وشمال أفريقيا عامة،[١٠] محاولة منها تغطية فشلها في القضاء على الثورة مما جعلها تجد الحل في تنبي إعلامها وجهة نظر الحكومة المركزية القائلة أن المسالة لا تعدو أن تكون محاولة تقوم بها أيد أجنبية، لتبرر ملف الجزائر الذي قدم إلى هيئة الأمم المتحدة لملأ الفراغ الخاص بالجزائر في ملف شمال أفريقيا، وذلك باتهام الثوار بأنهم عملاء موسكو ومرة بأنهم عملاء القاهرة، تطوان، لندن، وهذا ما أشار إليه الصحفي الفرنسي "روبرت بونيت" في جريدة L'AURORE، بالقول أن الذين نفذوا العمليات العسكرية تلقوا الأسلحة و الأوامر من الخارج.[١١]

لقد عمل الإعلام الفرنسي على إفراغ الثورة التحريرية من بعدها الوطني التحرري، وجعلها عملاً من إيحاء الخارج، وأن المنفذين سوى أدوات استخدموا أحسن استخدام من طرف فرنسا، والذين تغيير الأوضاع الداخلية في شمال أفريقيا لحساب مصالحهم، وأن الصراع الدائر في الجزائر لا يعدو إلا صراعًا بين الشرق والغرب، لقد كانت فرنسا مضطرة إلى التمسك بهذه الذريعة أي المؤامرة الخارجية، وذلك من أجل الدفاع عن ملفها أمام هيئة الأمم المتحدة بكل ما لديها من وسائل، وهو اتهام الثورة الجزائرية بالشيوعية، وهو اتهام يدعم موقفها عند الدول المناهضة للشيوعية، وخاصةً الولايات المتحدة الأمريكية والأوروبية التي تسير في فلكها، بالإضافة إلى التقليل من شأنها كحركة وطنية تحررية ولأنها مجرد عصابات مأجورة من الخارج لإحباط عزيمة الثوار من توصيل صوتهم إلى المحافل الدولية بالتعريف بالقضية الجزائرية وتدويلها، وشرح حقيقة ما يجري على أرضها.

٥- التحريض على استخدام المزيد من القوة:

عملت الصحافة الفرنسية بالتنسيق مع حكومتها الاستعمارية على التهويل والتضخيم والمبالغة لتجند كل إمكانياتها المادية والبشرية في استخدام القوة لوضع حد للثورة في الجزائر، ففي افتتاحيتها التي عنونتها بـ "اضربوا على الرأس" كتبت جريدة البرقية اليومية التابعة للاستعمار بعد توجيهها انتقادات لاذعة للإدارة الفرنسية تذكر أن الوقت ملائم لكي يقوم المسئولون بالسهر والتخطيط لسياسة واقعية يأملها السكان الأوربيون والمسلمون، وتختم مقالها بالقول:"يجب ضرب هذه الكمشة من المهرجين وضربهم على الرأس".[١٢]

كان على الإعلام الفرنسي الصادر في الجزائر خاصةً أن تلعب الدور الرئيسي والأهم بحيث أنها كانت في غالبيتها خاضعة من الناحية المادية والتوجيهية إلى أوامر وتعليمات المعمّرين. لهذا كانت المنبر الأساسي الذي من خلاله يدافع هؤلاء المُعمّرين الأوربيين أو"الكولون" عن مصالحهم ووجهات نظرهم، ضمن حملة شرسة ضد المسلمين وإثارة الغضب والسخط والعنصرية في أوساط الجالية الأوربية المسيحية والتشبث بالبقاء في الجزائر التي كانوا يعتقدون أنها قطعة من فرنسا باقية إلى الأبد،[١٣] وباشرت هذه الصحافة حملة شرسة في واجهات جرائدها، بإثارة الغضب في أوساط الجالية الأوروبية المسيحية، والإسراع في القضاء على الثورة قبل أن يستفحل أمرها، وهذا ما دفع الصحافة الاستعمارية تقترب أكثر من بعضها، مقلصة الفوارق بينها، يقرأ فيها مادة واحدة عن وقائع ما يحصل في الجزائر، ولا تختلف إلا في بعض التفاصيل الدقيقة في الصناعة الصحفية.[١٤]

لقد وجدت هذه الإستراتيجية الإعلامية صدى كبير لدى الاحتلال الفرنسي الذي كان يساهم في هذه الأجندة الدعائية لطمئنت المعمرين والأوربيين، أن فرنسا لن تتنازل عن سيادتها في الجزائر مهما كانت الظروف، وإن الثوار مجرد عصابات متمردة سيتم القضاء عليها بقبضة من حديد، وكان ذلك واضحًا في تصريحات المسؤولين الذي كانوا يرفضون أي مفاوضات محتملة مع الثوار، وقد سبق هذه التصريحات الحملة الصحفية التي شنها المعمرين من خلال وسائل الإعلام التابعة لهم من صحافة وإذاعة بواسطة ممثليهم في الهيئات الحكومية المختلفة، ينتقدون فيها الإدارة الفرنسية التي عجزت على حماية مصالحه، وحملة شرسة يطالبون فيها على ضرورة التكثيف من العمليات العسكرية النوعية والعمل بسرعة وبشدة لضرب الثورة للحفاظ على مصالحهم ومصالح فرنسا الاستعمارية في الجزائر.

ثالثًا: الإعلام المضاد للثورة الجزائرية لكسب الحرب الإعلامية ضد الاستعمار الفرنسي

لقد أولت جبهة التحرير الوطني باعتبارها حركة تحرر وطني الإعلام والدعاية دورًا أساسيًا، إذ أن اجتماع ٢٢ طرح موضوع الإعلام والتفكير في كيفية أخبار الشعب الجزائري بأهداف هذه الحركة الثورية، حيث أرسى النقاش على صدور بيان أول نوفمبر وقد تكلفت بذلك جماعة الخمسة التي بلورت الفكرة الداعمة لضرورة إنشاء صحافة ثورية تتصدى لصحافة العدو وتفضح أكاذيبه، وقد ترسخت هذه الدعوة بعد نقاش معمق بين أعضاء هذه الجماعة حول الكيفية والطريقة التي ينشر بها بيان أول نوفمبر، حيث تم الاتفاق في البداية على أن يصدر كمنشور، باعتبار

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

المنشور يتميز بالبساطة والمرونة والسهولة، ولا يكلف الكثير عند توزيعه ونشره، على أن تقوم المؤسسات الإعلامية غير التابعة للجبهة بنشره وتوزيعه على نطاق واسع فيما بعد، وبالفعل فقد تولت إذاعة صوت العرب نشره على نطاق واسع وكذلك بعض الصحف العربية.[١٥]

١- الوسائل الإعلامية التي اعتمدتها الثورة الجزائرية

لقد دخلت جبهة التحرير الوطني ميدان الإعلام بإمكانياتها الضعيفة للدفاع عن مبادئ الثورة، ومواجهة الدعاية الاستعمارية المضللة للرأي العام الوطني والدولي، التي كانت تدرك من أنها تواجه خصمًا متمرسًا وعريقًا في الميدان لا يمتلك خبرات أو إمكانيات مادية في هذا المجال، لكنه يدرك بأهمية الكلمة وتوظيفها نتيجة المعاناة التي أفرزها الصراع الطويل المرير والمستمر الذي خاضه الشعب الجزائري ضد المستعمر، مسخرًا كل إمكانياته رغم ضعفها لمواجهة الترسانة الدعائية لهذا المستعمر ومن أهم الوسائل الإعلامية التي اعتمدت عليها الثورة هي:

أ- النشرات والبيانات:

إن المنشور عبارة عن ورقة تحتوي على موضوع ما، يوزع على الناس مجانًا قصد اطلاعهم على حدث ما، وهو في العادة لا يتعدى الصفحة الواحدة، لأنه إذا تعداها إلى صفحتين أو أكثر يصبح نشرة وليس منشورًا، ويحرر بأسلوب مبسط، وكان المنشور السياسي أول وسيلة من وسائل الإعلام استعملته اللجنة الثورية لاطلاع الرأي العام الوطني والدولي عن ميلاد جبهة التحرير الوطني من جهة، وعن اندلاع الثورة المسلحة من جهة أخرى، وهو نداء أول نوفمبر الذي كتب في صفحة منشور، ووزع في الليلة الفاصلة بين ٣١ أكتوبر وأول نوفمبر ١٩٥٤.[١٦]

يعتبر بيان أول نوفمبر في حد ذاته أهم وثيقة إعلامية صاغتها جبهة التحرير الوطني، الذي اعتبر قفزة نوعية في الإعلام الثوري، ساهم بقوة في دعم الشعب الجزائري لجبهة وجيش لتحرير الوطني منذ انطلاق الرصاصة الأولى، كما كانت تلجأ إلى استعمال المنشور قصد تعميم إحدى قراراتها الصادرة على الجماهير بحيث يوزع بواسطة المجاهدين في جميع نواحي القطر الجزائري ويكون توزيعه في وقت واحد، وقد شكلت مناشير الثورة أسلوبًا إعلاميًا للتأثير السياسي والمعنوي على الجماهير، إذ كانت تنطلق دائمًا في تحليلات وتعليقات مبدأ أن التفاف الجماهير حول الثورة هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الاستقلال والحرية.

ب- الصحف:

في شهر ماي (مايو)، وجوان (يونيو) ١٩٥٥ بدأت جبهة التحرير الوطني التفكير في تأسيس صحافة تابعة لها، وناطقة باسمها، فزيادة على المناشير قررت إنشاء عدة صحف إحداها في فرنسا والثانية بتطوان في المغرب والثالثة في تونس، وسميت هذه الصحف باسم واحد هو "المقاومة الجزائرية"، وكانت تطبع باللغة الفرنسية والعربية. وأنشأت صحيفة رابعة تحمل اسم "المجاهد" في صيف ١٩٥٦ ناطقة باللغتين العربية والفرنسية.[١٧]

لقد عرفت صحافة الثورة التي ظهرت في سنة ١٩٥٥ نوعًا من اللامركزية بفعل الظروف الخاصة التي كان يجتازها الكفاح المسلح، ونظرًا للتطور الذي عرفته الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام، وتقديرًا من قيادة الثورة لأهمية الإعلام وحرصًا منها على وحدة التوجيه قررت توحيد صحافة الثورة سنة ١٩٥٧، فأوقفت صحيفة المقاومة الجزائرية، وجمعت العاملين بها في هيئة تحريرية واحدة في إطار جريدة "المجاهد" التي أصبحت لسان حال جبهة التحرير الوطني، التي كانت توزع على نطاق واسع داخل الجزائر، كما كانت توزع في الخارج، وبدأت تنتشر بمدينة تطوان بالمغرب ثم في شهر نوفمبر ١٩٥٧ نقلت إلى تونس بعد أن قررت قيادة الثورة اتخاذ مدينة تونس مركزًا لها.[١٨]

الصحافة الجزائرية النضالية والمناهضة للاستعمار لم تظهر إلا بعد عام من انطلاق الثورة، وذلك راجع للاضطهاد والقوانين التعسفية التي وضعتها سلطات الاحتلال الخاصة بالمتصرف أو المسؤول الشرعي عن الجريدة، حيث تتطلب منه أن يتمتع بجميع حقوقه المدنية وأن لا يكون محكومًا عليه، وهذه الحقوق لا يتمتع بها الجزائريين طبعًا، إلا أن هذا لم يمنع الثورة من استخدام وسيلة الإعلام المكتوب في مواجهة التضليل والتزييف التي مارسه الاستعمار الفرنسي وللتعريف بالثورة التحريرية، وقد لعبت جريدة المجاهد في هذا المجال دورًا هامًا وكبيرًا في إنجاح الثورة والتعريف بمواقف الثورة من الأحداث سواءً في الجزائر، أو في العالم العربي، أو في بقية العالم، ونقل أفكار وأخبار الثورة إلى القاعدة المكافحة.

ج- الإذاعة:

تعتبر سنة ١٩٥٦ الانطلاقة الأولى لأجهزة الإعلام السمعية الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني، أنشئوا في هذه السنة أركانًا إذاعية في معظم الأقطار العربية، وكانت الإذاعة من الوسائل القوية والفعالة إبان الثورة، وفي ذلك الوقت تم توسيع البث الإذاعي في الجزائر لإيصال "صوت البلاد" إلى كل الجزائريين، حيث أنشأت الإذاعة الجزائرية السرية في السادس عشر من ديسمبر ١٩٥٦، أمرت قيادة اتصالات جيش التحرير بها، فرُكِّبت على ظهر شاحنة تتنقل على الحدود الجزائرية المغربية، متخفية من العدو الذي لم يتمكن من تحديد موقعها،[١٩] كانت هذه الإذاعة تبدأ برامجها بعبارة "هنا إذاعة الجزائر المكافحة"، أو "صوت جبهة التحرير يخاطبكم من قلب الجزائر"، وكان يبث بالعربية والفرنسية والقبائلية. وتضمنت برامج الإذاعة البلاغات العسكرية والتعاليق السياسية والرد على الدعاية الاستعمارية وغيرها من البرامج ذات الطابع الدعائي والتعبوي.[٢٠] لقد كان للإعلام المسموع الدور الفاعل في الثورة عبر إذاعة الجزائر السرية داخل الوطن، ثم فيما بعد صوت الجزائر كان يذاع يوميًا من إذاعة تونس والمغرب الشقيقة، ووظفتها الثورة بقوة ودعمتها، و علت من محطات

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الإذاعات العربية الشقيقة صوتًا لكلمة الجزائر، ومن عواصم العالم ميدانًا للتعريف بقضية الجزائر العادلة وعملت على كسب التأييد و التضامن الدولي.

لقد كانت وسائل الإعلام تعكس نشاطات جيش التحرير الوطني لتكون سمعَ الرأي العام وبصره وصوته، ولتزوّد الشعب بالأخبار الحقيقية فتكون صلة الوصل بينه وبين مجاهدي جيش التحرير الوطني، ومنذ ذلك الحين، قامت وسائل الإعلام الثوري بدور فعال وأساسي في إبلاغ الرأي العام الدولي بحقيقة الثورة الجزائرية، وكذا أداة لتعبئة الرأي العام الداخلي وتوجيهه في التقاط المعلومات الحقيقية التي هو في حاجة ماسة إليها قصد تتبع مسار الثورة وجنود جيش التحرير الوطني في عملياتهم المتواصلة ضد القوات الاستعمارية، وسرد مراحل المقاومة الباسلة التي يبديها الشعب الجزائري.

٢- الاستراتيجية الإعلامية للثورة الجزائرية وأهدافها

تحددت أهداف استراتيجية الثورة في السعي للحصول على أقوى ما يمكن من التأييد المادي والمعنوي والنفسي بتدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية، فأسند ذلك إلى لجنة الخمسة المنبثقة عن اجتماع ٢٢ وأسند أمر تنظيم الحملات الإعلامية والتظاهرات والإضرابات إلى التنظيمات النقابية والجماهيرية من أجل تكذيب الدعاية الفرنسية بوصف الثورة بالأعمال الإجرامية أمام الهيئات العالمية وعرض القضية الجزائرية على هيئة الأمم المتحدة، وكان ذلك جليًا في برنامج مؤتمر الصومام سنة ١٩٥٦ الذي حدد من بين المسائل الأساسية في استراتيجية الثورة مسألة الإعلام، حيث عبرت وثيقة الصومام على أهمية الإعلام والدعاية وعلى طبيعة دورهما في الكفاح المسلح كضرورة لتكثيف النشاط الدعائي على الصعيد الدولي عن طريق إنشاء مكاتب وبعثات جهة التحرير الوطني في الخارج.[٢١]

لقد تم عن طريق الندوات التي يعقدها ممثلو الجهة التي يتم نشرها عن طريق وكالات الأنباء الدولية، بالإضافة إلى استخدام ممثلو الثورة في الخارج وسائل الإعلام في البلدان الشقيقة والصديقة تحقيق استراتيجيتهم الإعلامية للتعريف بالثورة الجزائرية وبأهدافها وأبعادها الحقيقية، فقد نظمت الجهة برامج إذاعية بعنوان "صوت الجزائر" باللغة العربية من الرباط وتطوان وطنجة بالمغرب الأقصى، وأيضًا في تونس والقاهرة، علمًا بأن إذاعتي القاهرة وتونس كانتا أولى الإذاعات العربية التي خصصت برامج محددة في فترات ثابتة لإذاعة أخبار الثورة الجزائرية، وقد ظلت هذه البرامج تذاع حتى بعد إنشاء الإذاعة السرية للثورة في قلب الجزائر سنة ١٩٥٧، كما كانت هناك إذاعات للدول الصديقة تُذيع أخبار الثورة الجزائرية بصفة متواصلة وبلغات متعددة، فإن مساندة الدول العربية للثورة الجزائرية، لم تقتصر على الإذاعات فقط، بل تعدى دورها إلى وسائل إعلامية أخرى مثل الصحف والمجلات المكتوبة، فقد قامت صحيفة البعث الدمشقية بدورها في مساندة الثورة التحررية وتنوير الرأي العام، حيث كانت القاعدة الأساسية للإعلام العربي آنذاك هي أن الثورة الجزائرية من اكبر الثورات وأهمها، فمعركة الجزائر ضد فرنسا، بمقدار قوتها وتحريرها للشعب الجزائري، تحرر العالم كله، والعالم العربي على وجه الخصوص.[٢٢]

أما على الصعيد الداخلي فقد كان الاهتمام منصبًا على الدعاية والإعلام، وفي هذا الإطار تم إنشاء سلك المحافظين السياسيين إلى جانب مصالح الاستعلامات الأخرى، وقد قام هذا الجهاز بدور هام في التوعية والتعبئة والتفاف الجماهير حول ثورتها، ومقاومة الحلول الجزئية والانهزامية التي كان العدو يروج لها، وذلك بشرح أهداف الثورة وإطلاع الشعب على انتصارات وحدات جيش التحرير الوطني باستخدام الإعلام المكتوب والإعلام المسموع والمرئي، لتكون مهمة المناضل ورجل الاستعلامات متكاملة في الثورة التحررية.

أعطت جهة التحرير الوطني للإعلام أهمية بالغة ووظفته بوعي في خدمة المعركة والقضية الوطنية، وللتصدي لسياسة التعتيم التي اتبعتها الدوائر الاستعمارية في الجزائر التي لم تكن تسمح للإعلاميين من الاقتراب لمعرفة حقيقة ما يجري على أرضها، ونشر الحقائق والأحداث التي كانت تقوم بها الثورة التحريرية، جعل لازمًا على الثورة الجزائرية أن تدخل مجال الإعلام، وتكتسب هذا السلاح لخوض معاركها ضد العدو إلى جانب الأسلحة الأخرى، وعليه حددت أهداف الإعلام المقاوم الجزائري كالآتي:[٢٣]

(١) ضرورة إيجاد التوازن بين متطلبات الرأي العام الوطني والدولي بعرضه للقضية الجزائرية بمختلف الوسائل والأساليب قصد إقناع الرأي العام الدولي بمصداقية هذه الثورة.

(٢) ضرورة الرد الفوري والمباشر على أجهزة الإعلام الغربية ولاسيما وكالات الأنباء المنحازة لوجهة النظر الاستعماري الفرنسي.

(٣) ضرورة الحرص الشديد على دقة البيانات والبلاغات المقدمة إلى وكالات الأنباء الأجنبية خشية تحريفها أو عدم فهمها للحفاظ على المبادئ الجوهرية للثورة.

(٤) الاعتماد على وسائلها الخاصة، من ضمان حريتها في التعبير، وشرح سياساتها وتقديم برنامجها، وسرعة التحرك حسب مقتضيات المستجدات على الساحات العسكرية، والسياسية والدبلوماسية، بما يخدم أهدافها ويحقق بلوغ الاستقلال والحرية.[٢٤]

خاتمة

مع الاندلاع الثورة الجزائرية ازداد الاهتمام بالجانب الإعلامي بصفة عامة حيث كثرت في هذه الأثناء عدد المنشورات التي توزع من قبل أعضاء الحركة الوطنية، لكن الملاحظ في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ الجزائر هو تمركز العمل الإعلامي والصحفي بصفة عامة بيد الحركة الوطنية (حركة جبهة التحرير الوطني) التي عمل رجالها على إنشاء جرائد ناطقة باسم الحزب، و إذاعات مسموعة، وذلك بالاعتماد على الكفاءات التي قامت على تكوينها،

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

فقد كانت الحرب الإعلامية للمقاومة تأخذ مجراها بالتوازي مع الضربات في ميدان المعركة، فقد أدركت الثورة الجزائرية منذ اليوم الأول لاندلاعها، أهمية الإعلام ودوره في المعركة الوطنية، والعمل على إنجاحها باستخدام الوسائل المختلفة لاكتساب الرأي العالمي، ومساندة القضية الجزائرية في المحافل الدولية، وفي هذا المجال كان الإعلام العربي اكبر مساند للثورة الجزائرية لمواجهة الإعلام الفرنسي وحملته الدعائية لتشويه الثورة وحقيقة ما يحدث بالجزائر.

فقد قدمت معظم البلدان العربية الدعم وبذلت مجهودات فعالة ساهمت في التعريف بالقضية الجزائرية، سواء كان من خلال قنواتها الإعلامية، أو من خلال توفير التسهيلات اللازمة لمختلف وسائل إعلام جبهة التحرير الوطني التي فضلت نقل صحفها ونشاطها الإعلامي الجزائري إلى هذه الدول العربية، خاصةً أن الوضع كان حرجًا بسبب المحاولات الاستعمارية للقضاء على الثورة، مما دفع رواد الكفاح الجزائري للجوء إلى الخارج ضمن الموقف المؤيد لأهدافهم، فقد لجأت جبهة التحرير الوطني إلى ميدان الإعلام بالإمكانيات المتوفرة التي تتسم بالضعف وعدم التجربة للدفاع عن مبادئ الثورة وأهدافها، وفك الحصار الإعلامي الذي فرضته الدولة المستعمرة، والدعاية التي يمارسها من أجل التغطية عن الجرائم التي يقترفها في حق الشعب الجزائري، ولكن رغم القمع والتعذيب الذي سلطه المحتل على كل من وقف إلى جانب الثورة الجزائرية برأيه، إلا أن الثورة الجزائرية بقيت صامدة وعازمة، لأن ما كان يقترفه المحتل من جرائم في حق أصحاب الأقلام النظيفة، زاد للثورة الجزائرية عزيمة ودعمًا وتعاطفًا وتضامنًا لدى الرأي العام عامة والمثقفين على وجه الخصوص.

الهوامش:

(١) فهد أحمد الشعلان: **إدارة الأزمات: الأسس – المراحل – الآليات**، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٢، ص٢٦.

(٢) منال أبو الحسن: **علم الاجتماع الاعلامي .. النظريات والوظائف والتأثيرات**، القاهرة-مصر: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٧، ص ٤٦.

(٣) محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع**، مصر- الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ٤٣٢.

(٤) السيد بهنسي: **الإعلام وإدارة الأزمات الدولية**، القاهرة :عالم الكتب، ٢٠١٠، ص ٢٤.

(٥) انظر: **صدى الجزائر**، عددها الصادر بتاريخ ٠٥ نوفمبر ١٩٥٤.

(٦) انظر: **صدى الجزائر**، العدد الصادر بتاريخ ٠٩ افريل (أبريل) ١٩٥٥، والعدد الصادر بتاريخ ٠٨ نوفمبر ١٩٥٤.

(٧) أحمد حمدي: **الخطاب الإعلامي العربي .. آفاق وتحديات**، الجزائر: دار هومة ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٤٧ - ٢٥٨.

(٨) محمد العربي الزبيري: **تاريخ الجزائر المعاصر (١٩٥٤ - ١٩٦٢)**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب ، الجزء الثاني، ١٩٩٩، ص ٢٠ - ٢٨.

(٩) الصراع الثقافي بين الاستعمار والثورة الجزائرية من خلال مجلة الفكر التونسية: (http://elrayen.rigala.net)، ٢٨ أكتوبر ٢٠١٠.

(١٠) الغالي غربي : **اندلاع ثورة أول نوفمبر من خلال الصحافة الفرنسية**، الجزائر: الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد_ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٥، ص ٢٢١ - ٢٢٧.

(١١) الغالي غربي: مرجع سبق ذكره ، ص٢٢٤ - ٢٣٠.

(١٢) الورتيلاني الفضيل: الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢، ص ٨٠.

(١٣) محمد ختاوي: **إعلام الثورة الجزائرية**، الحرب الأخرى للمقاومة، http://www.alnoor.se، ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٨.

(١٤) العياضي نصر الدين: **الخطاب الصحفي الاستعماري في ظروف الأزمة**، الجزائر: مجلة علوم الاعلام والاتصال، العدد ٣، ١٩٨٩، ص ١٠.

(١٥) أحمد حمدي: **الثورة الجزائرية والإعلام.. دراسة في الإعلام الثوري**، الجزائر: وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٧، ص ٠٧ - ٠٨.

(١٦) حسن بومالي: **استراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام**، الجزائر: الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد_ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٥، ص٤٩.

(١٧) عزي عبد الرحمن ومجموعة من الأساتذة: **عالم الاتصال**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٠، ص ١١٨.

(١٨) تيسير أبو عرجة: **دراسات في الصحافة والإعلام**، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص ٢٥٥.

(١٩) نشأة الإذاعة الجزائرية، متاح على الرابط: (http://aljazairi.ahlamontada.net) بتاريخ ٦ فبراير ٢٠٠٩.

(٢٠) إذاعة صوت الجزائر، *تاريخ الجزائر (١٨٣٠ - ١٩٦٢)*: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، (http://www.1novembre54.com).

(٢١) محمد الشريف عباس: **واقع الإعلام الوطني أثناء الثورة التحررية**، الجزائر: الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد_ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٥، ص ٢٢.

(٢٢) محمد الشريف سيدي موسى: **الثورة الجزائرية في وسائل إعلام العالم الثالث والكتلة الشرقية**، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر، ١٩٨٨، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٢٣) أبو خليل التميمي: **الحرب الإعلامية (إعلام الثورة الجزائرية)**، العراق: مجلة المحرر، العدد 18، السنة التاسعة، 2009، (www.al-moharer.net).

(٢٤) السعيد عبادو: **الإعلام ودوره في ثورة نوفمبر ٥٤**، الجزائر: الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد_ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٥، ص ١٤.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449